أبطال الإسلام

سعد بن أبي وقّاص
(بطل القادسية)



المجد

تأليف: د/ على راشد

رسوم: ماهر عبد القادر

برقم إيداع 2013/7074

المجد للنشر والتوزيع 0106372799

يُعَدُّ الصَّحَابِىُّ الْجَلِيلُ "سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاص" رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَوَائِل مَنْ دَخَلُوا فِى دِينِ الْإِسْلَام، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّة، وُلِدَ فِى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَة عِنْدَمَا كَانَ عُمْرُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ عَامًا، وَهُوَ مِنْ سَادَة قُرَيْش، أَبُوهُ "مَالِكُ بْنُ أُهَيْب" مِنْ بَنِى زُهْرَةَ أَهْلِ "آمِنَة بِنْتِ وَهْب" أُمِّ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام،



فَهُوَ بذَلكَ يُعدُّ خَالًا للنَّبىِّ الْكَرِيم، وَقَد اشْتَغَلَ فى شَبَابه فى بَرْى السِّهَام وَصنَاعَة الْأَقْوَاسِ، لِذَا كَانَ بَارِعًا فِى رَمْىِ السِّهَام وَحَيَاة الصَّيْدِ وَالْحُرُوب.

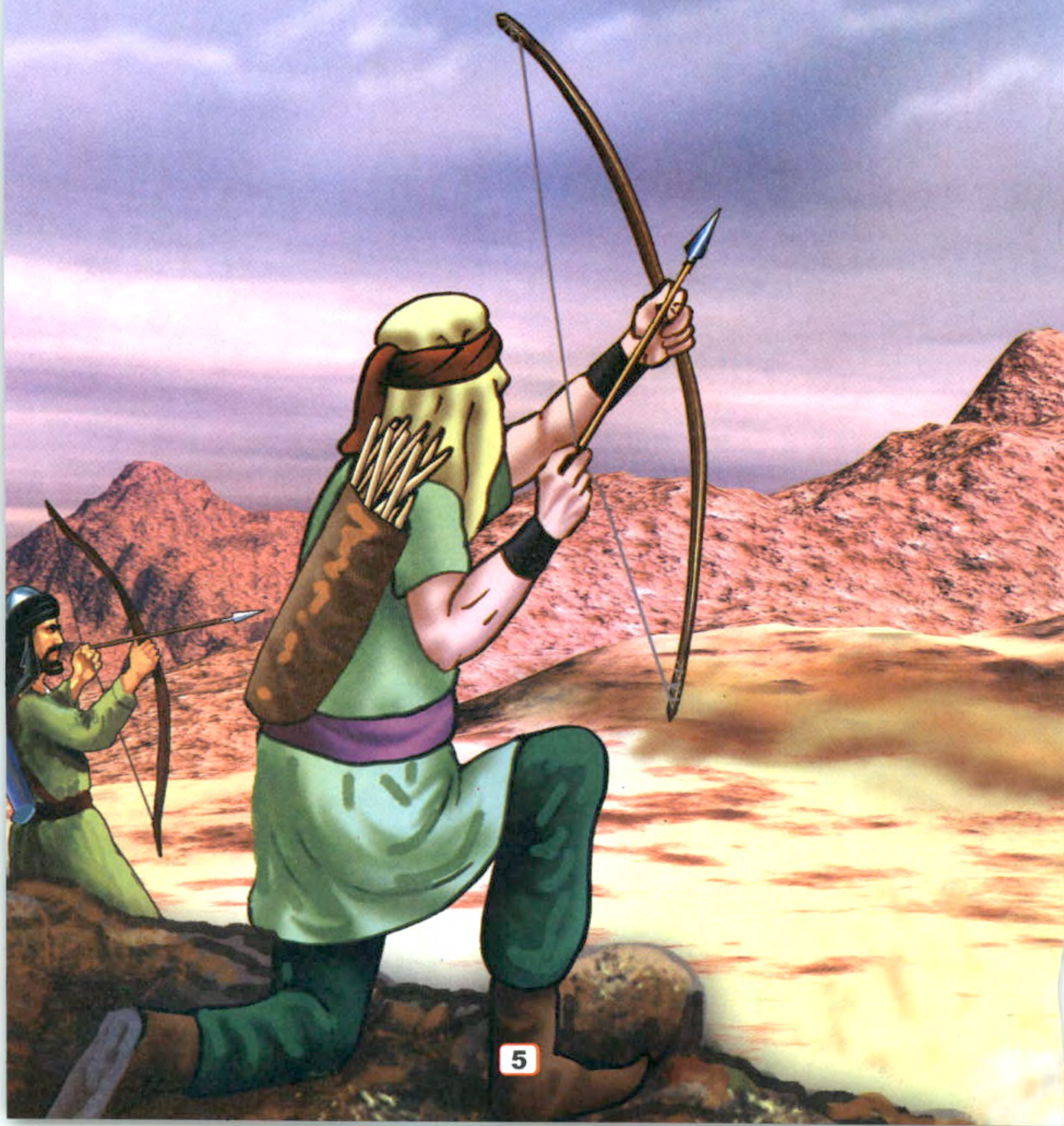


وَقَدْ كَانَ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ منْ أَشْجَعِ فُرْسَانِ الْعَرَبِ الْمُسْلمينَ، وَكَانَ لَهُ سلاحَانِ: رَمْحُهُ وَدُعَاؤُهُ فَإِذَا رَمَى فِى الْحَرْبِ عَدُوًّا أَصَابَهُ، وَإِذَا دَعَا اللّٰهَ دُعَاءً مَا أَجَابَهُ، وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ".

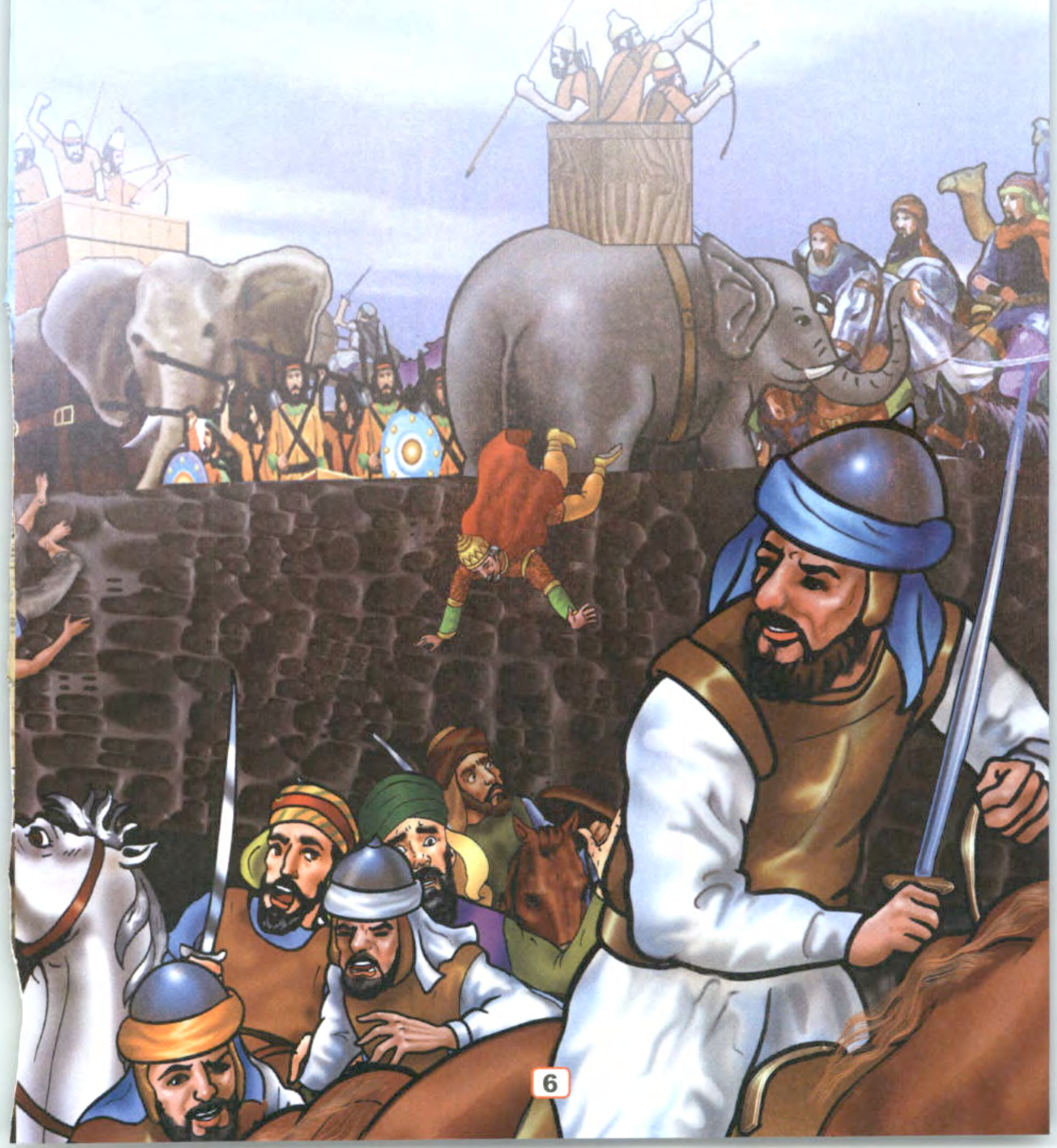


وَيُعْتَبَرُ "سَعْدُ بْنُ أَبى وَقَّاص" أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِسَهْم فى سَبيل اللّه، وَقَدْ كَانَ النَّبِىُّ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَوْمَ "أُحُد" يُشَاهدُ سَعْدًا وَهُوَ يُزْجى الْمُشْركينَ بسهَامه فَيَقُولُ:

"ارْم سَعْدُ فَدَاكَ أَبى وَأُمِّى"، وَظَلَّ سَعْدٌ يَفْتَخِرُ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ طَوَالَ حَيَاته.



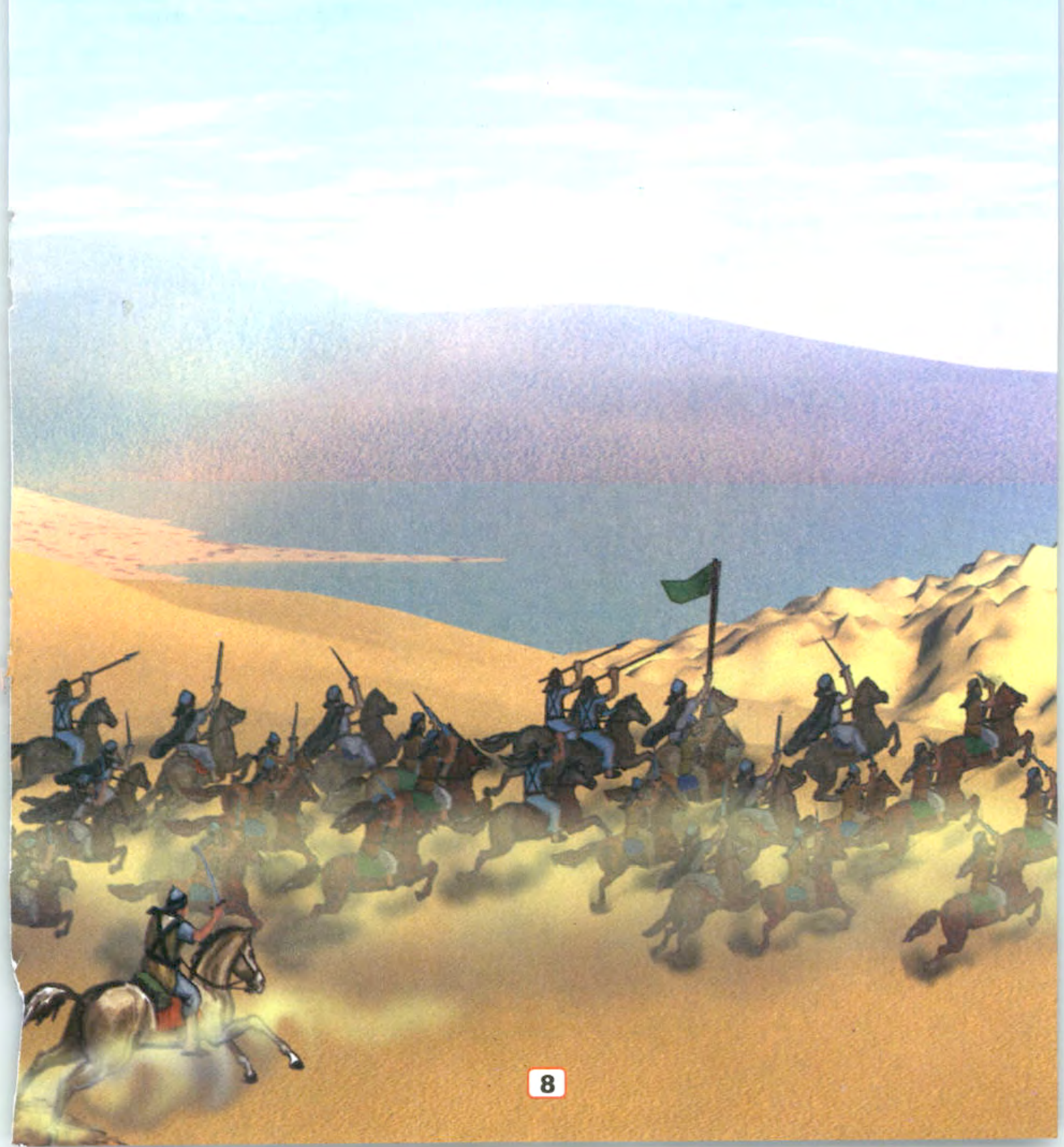
وَفى عَهْد الْخَليفَة عُمَرَ بْن الْخَطَّاب رَضىَ اللّه عَنْهُ، جاءَت الْأَخْبَارُ بأَنَّ جَيْشَ الْفُرْس تَوَالَتْ هَجَمَاتُهُ الْغَادرَةُ عَلَى الْمُسْلمينَ إلَى دَرَجَة أَنَّ مَعْرَكَةً وَاحدَةً وَهىَ "مَعْرَكَةُ الْجسْر" اسْتُشْهدَ فيهَا منَ الْمُسْلمينَ أَرْبَعَةُ آلَاف شَهيد فى يَوْم وَاحد.



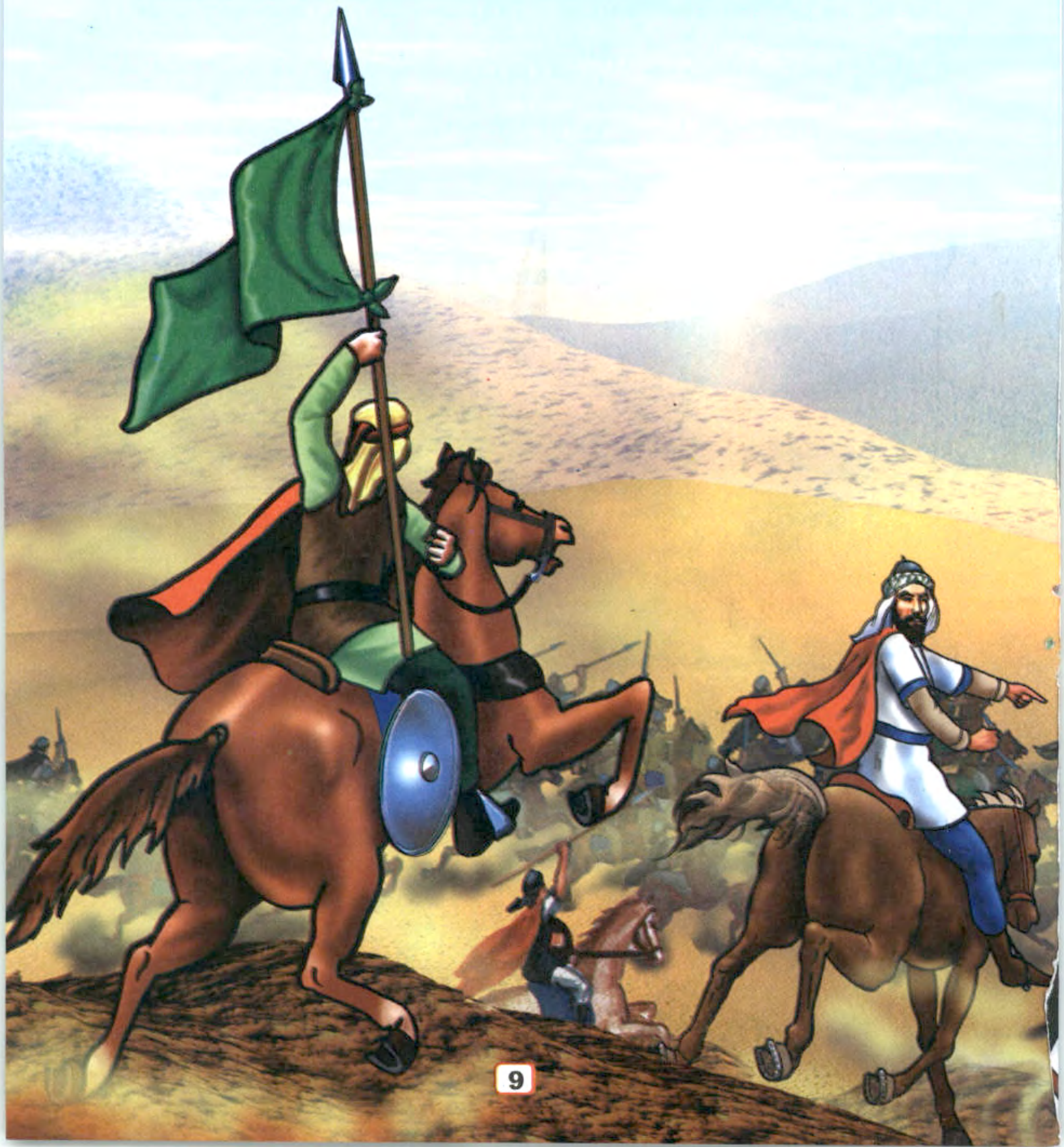
فَقَرَّرَ "عُمَرُ" رَضِىَ اللَّه عَنْهُ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِه لِيَقُودَ جَيْشَ الْمُسْلمِينَ فى مَعْرَكَة ضدَّ الْفُرْس عَبَدَة الْأَوْثَان، وَلَكِنَّ عَدَدًا مِنَ الصَّحَابَة أَلَحُّوا أَنْ يَبْقَى "عُمَرُ" فى الْمَدِينَة، وَيَخْتَار لِلقَاءِ الْفُرْس قَائِدًا آخَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَمَّ اخْتِيَارُ الْأَسَد "سَعْد بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ" فَوَافَقَ الْجَمِيعُ مُهَلِّلِينَ وَمُكَبِّرِينَ.



وَخَرَجَ "سَعْدُ بْنُ أَبى وَقَّاص" فى ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ لِلقَاءِ جَيْشِ الْفُرْسِ الَّذى يَزِيدُ عَدَدُهُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ مائَة أَلْفَ مُقَاتِلٍ عَلَى رَأْسِهِمُ الْقَائِدُ "رُسْتُمُ" الْخَبِيرُ فِى إِدَارَةِ الْمَعَارِكِ الْحَرْبِيَّةِ. وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقَى الْجَيْشَانِ فِى الْقَادِسِيَّةِ،



أُصيبَ "سَعْدٌ" بمَرَض جِلْدىٍّ، فَانْتَشَرَتْ فى جِسْمِه الدَّمَامِلُ، ممَّا جَعَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِسَ، أَوْ أَنْ يَعْلُوَ جَوَادَهُ وَيَخُوضَ عَلَيْهِ الْمَعْرَكَةَ، وَلَكِنَّهُ صَعدَ وَهُوَ مُتَحَامِلٌ عَلَى نَفْسِه وَآلامِه إِلَى شُرْفَةِ حِصْنٍ نَزَلَ بِه وَاتَّخَذَهُ مَرْكَزًا لِقِيَادَتِه.



وَفى الشُّرْفَة جَلسَ مُتَّكئًا عَلَى صَدْره فَوْقَ وسَادَة وَرَغْمَ أنَّ دَمَامله تَنْزف وَتُؤْلمه، لَكنَّه كَانَ فى شُغل عَنْهَا، فَهُو منْ شُرْفَة الْحصْن الْقَديم يُكَبِّرُ وَيَدْعُو اللّه عَزَّ وَجَلَّ بأَنْ يَنْصُرَ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلمينَ، وَلَمَّا اشْتَدَّ وَطيسُ الْمَعْرَكَة تَحَامَلَ عَلَى نَفْسه وَنَزَلَ إلَى أَرْض الْمَعْرَكَة يُصْدرُ أَوَامرَهُ وَتَوْجيهَاته إلَى جُنُوده: "تَقَدَّمُوا صَوْبَ الْمَيْمَنَة، سُدَّوا ثَغَرَات الْمَيْسَرَة، أَمَامَكَ يَا مُغيرَةُ، وَرَاءَهُمْ يَا جَريرُ، اضْرِبْ يَا نُعْمَانُ، اهْجمْ يَا أَشْعَثُ وَأَنْتَ يَا قَعْقَاعُ، تَقَدَّمُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّد...".



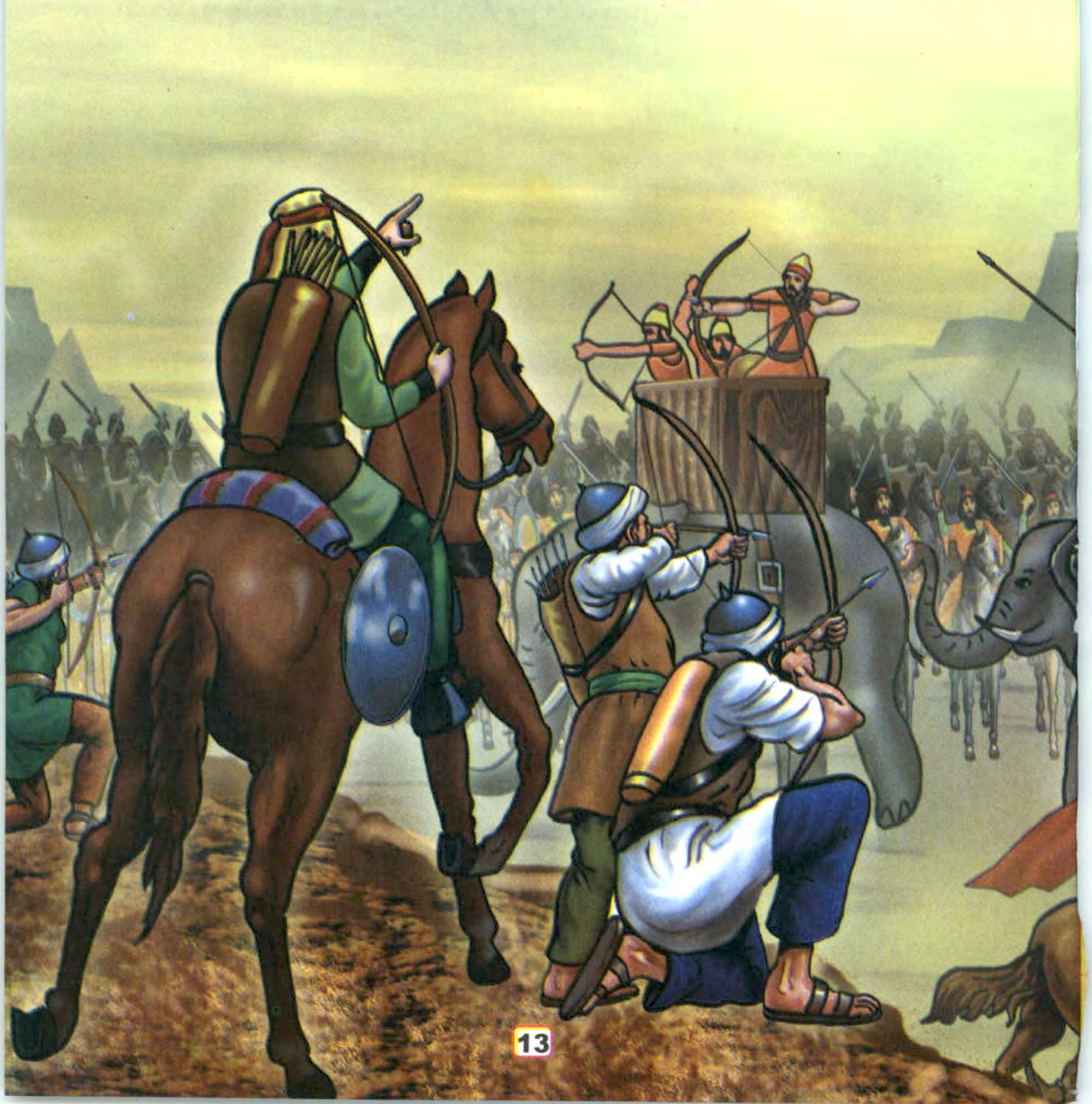
وَكَانَ صَوْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُفْعَمُ بِقُوَّةِ الْعَزْمِ وَالْأَمَلِ وَالْإِيمَانِ، يَجْعَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَيْشًا بِأَسْرِهِ.



وَهَاجَمَ جَيْشُ الْفُرْسِ بِقُوَّةٍ، وَوَضَعُوا أَمَامَهُمْ أَفْيَالًا ضَخْمَةً فَفَزِعَتْ خُيُولُ وَجِمَالُ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَاجَعَتْ، وَبَعْدَ الْمُشَاوَرَةِ فِى هَذَا الْأَمْرِ تَمَّتْ تَغْطِيَةُ رُءُوسِ الْخُيُولِ وَرُءُوسِ الْجِمَالِ بِأَقْنِعَةٍ غَرِيبَةِ الشَّكْلِ، كَمَا عُلِّقَتْ فِى هَذِهِ الْأَقْنِعَةِ بَعْضُ الْأَجْرَاسِ،



فَفَزِعَتِ الْأَفْيَالُ وَتَرَاجَعَتْ عَلَى جَيْشِ الْفُرْسِ وَقَتَلَتِ الْمِئَاتِ مِنْهُمْ، وَتَهَاوَى جُنُودُ الْفُرْسِ كَالذُّبَابِ، وَقُتِلَ قَائِدُهُمْ "رُسْتُمُ"، كَمَا قُتِلَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ، وَفَرَّتِ الْفُلُولُ الْمَهْزُومَةُ أَمَامَ الْأَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يَصِيحُونَ: اللَّهُ أَكْبَرُ... اللَّهُ أَكْبَرُ...، وَطَارَدُوا عَدُوَّهُمْ مِنْ مَدِينَةٍ لِأُخْرَى، وَأَسَرُوا مِنْهُمُ الْكَثِيرَ.



وَبَعْدَ قُرَابَةِ عَامَيْنِ مِنْ مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ، قَادَ الْأَسَدُ "سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ" مَوْقِعَةَ الْمَدَائِنِ الَّتِي كَانَتْ أَيْضًا بَيْنَ الْفُرْسِ وَالْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ عَبَرَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ نَهْرَ دِجْلَةَ، وَوُضِعَتْ خُطَّةٌ نَاجِحَةٌ أَذْهَلَتِ الْجَمِيعَ، انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْفُرْسِ، وَلَمْ يَخْسَرْ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ جُنْدِيًّا وَاحِدًا، وَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً عَلَى رَأْسِهَا إِيوَانُ كِسْرَى وَتَاجُهُ وَعَادَ الْبَطَلُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَرْوَعَ الِانْتِصَارَاتِ عَلَى الْفُرْسِ.



وَقَبْلَ وَفَاة أَمير الْمُؤْمنينَ عُمَرَ بْن الْخَطَّاب اخْتَارَ ستَّةً منَ الصَّحابَة لِخلَافَته، وَكَانَ منْ بَيْنهمْ "سَعْدُ بْنُ أَبى وَقَّاص"، وَلَكنْ كَانَت الْخلافَةُ لـ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رَضىَ اللّٰه عَنْهُ وَيَمْتَدُّ الْعُمْرُ بسَعْد، وَتَجىءُ الْفتْنَةُ الْكُبْرَى (بَيْنَ عَلِىٍّ بْن أَبى طَالب كَرَّمَ اللّٰه وَجْهَهُ) وَمُعَاويَةَ بْن أَبى سُفْيَانَ رَضىَ اللّٰه عَنْهُ"، فَيَعْتَزِلُهَا، بَلْ وَيَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَأَوْلَادَهُ أَلَّا يَنْقُلُوا إِلَيْه شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهَا.



وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَامِ الرَّابِعِ وَالْخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ جَاوَزَ "سَعْدٌ" سِنَّ الثَّمَانِينَ، كَانَ هُنَاكَ فِى دَارِهِ يَتَهَيَّأُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، وَيَرْوِى وَلَدُهُ لَحَظَاتِهِ الْأَخِيرَةَ فَيَقُولُ:

"كَانَ رَأْسُ أَبِى فِى حِجْرِى قَبْلَ مَوْتِهِ بِلَحَظَاتٍ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِى:

- مَا يُبْكِيكَ يَا بُنَىَّ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُنِى أَبَدًا، وَإِنِّى مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

وَفَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ حُمِلَ جُثْمَانُ "سَعْدٍ" إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِيُدْفَنَ فِى قُرَى الْبَقِيعِ.

وَدَاعًا بَطَلَ الْقَادِسِيَّةِ، دَفَّاعَ الْمَدَائِنِ، وَمُطْفِئَ النَّارِ الْمَعْبُودَةِ فِى بِلَادِ فَارِسَ إِلَى الْأَبَدِ.

